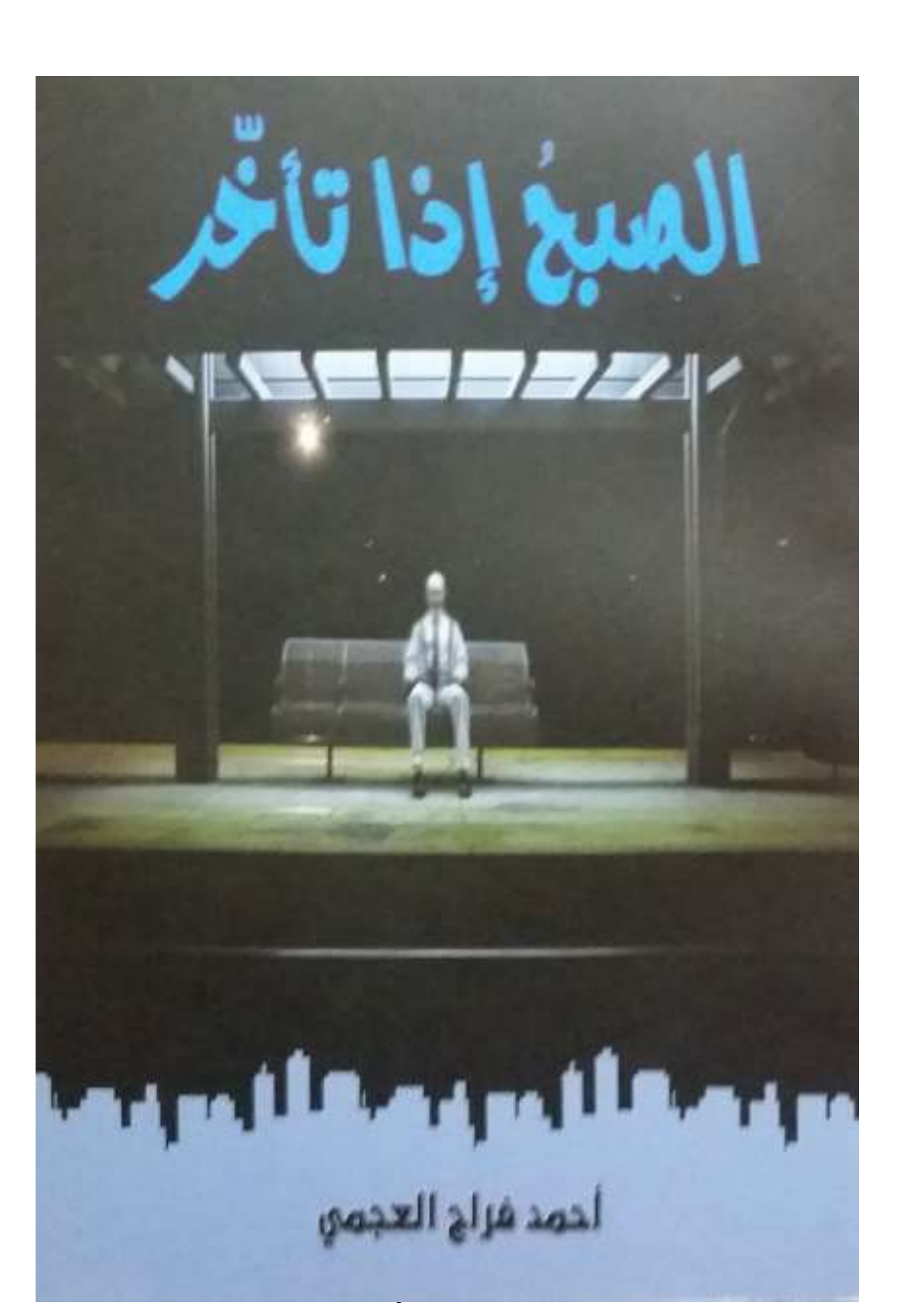


الصبحُ إذا تأخّر
أحمد فراج العجمي

الصبحُ إذا تأخّر

شعر

أحمد فراج العجمي



رقم الإيداع بدار الكتب المصريّة

2016/16053

الطبعة الأولى - 2016م

مطبعة المنار - المنصورة

مراسلة المؤلف

البريد الالكتروني: ahsh3r@gmail.com

الإهداء

إلى الطفولة الغارقة في البحر المتوسط

على شفا السقوط الأبدي نعيش في صراع حقيقي مع ظلمات الجهل والطمع، ويغشانا هجير العداوة والبغضاء، وتتفلت من بين أيدينا فرص النجاة، ظننا أن الصبح أوشك أن يسفر فإذا به يتأخر، وما من ساعة من ساعات ليلنا الطويل إلا حملت في طياتها خيبة، وأوشك النجاح أن يكون منفيا، والمحبة والسلام أن يكونا مثل وردة حالت دونها أميال من الشوك.

ولكني على ثقة من أن صبحنا المنتظر لم يكن إلا سهما أطلق فهو لا محالة قادم وإن تأخر.

هذه مجموعة من القصائد ذات موضوعات متقاربة تدور في معظمها حول حال الأمة في خمس سنوات لم يصدر لي بها ديوان، ويصدر هذا الديوان مع ديوانين آخرين، أحدهما للمساجلات الشعرية بعنوان "دقات قلبين" والثاني لبقية قصائدي في تلك المدة الزمنية، بعنوان "مس من السحر".

القصائد

انبطاح

ضع جُرحَكَ يا ورقَ الزيتونِ على جُرحي

غيّر إن شئتَ مدادي

وأعِرني لونكَ

أشعل لي زيتكَ

بدّل هذا السِّفْرَ الأحمرَ

أوقِفْ زمني أو نَوحي

واغسلْ ماءَ البحرِ الأسود

لوِّن أفقي بسحابٍ خالٍ من كلِّ دخانْ

وسماءٍ ما فيها إنسانْ

أجْرَمَ من علّمنا الطيرانْ

كي نرجم أطفالا ونساء وزهورا ومساجد وكنائس

كي نرجم أنفسنا

وامسح من لوحتنا كل هدير

كل جناح يحمل بترولا

وارسم شمسا مشرقة وصفيرًا

زقزقةً وهديلا وربيعا عربيا لا يعرف خلطَ الألوان

أريدُ سمائي خالية من كل جبانْ

ضع جُرحَكَ يا ورقَ الزيتونِ على جُرحي

واستأصِلْ من ذاكرتي خوفي

وأعرني فرحي

عجِّلْ ..

فالوقتُ على جُرُفٍ هارٍ

لا سيفَ هنالكَ يقطُعنا

لا سُلّم يُنزلنا نحوَ السفحِ

قد مَلّت هذي الذروةُ من قومي

لم تعتدْ أن يسكنَها قومٌ ألفَوْا طولَ الرّقدةِ والبَطحِ

حلم

نُوحي على الصبحِ واقتادي لنا

وشتّتي يا رياحُ الشعرَ والورَقا

كانت لنا جذوةٌ من لحنِ أغنيةٍ

لكنّها خُنقَتْ واستُبدلتْ أرقا

ماذا؟ أكُنّا نعيشُ الحلمَ نحسبُه

مثل الحمامة في الآفاق منطلِقا

حتى إذا ما استوى الصيادُ معتدلا

أرخى السلاحَ فجذَّ الحُلمَ والعنقا

فاستبشري أمتي بالنور منتشرًا

بعد انطفاءِ الدجى واستشرفي الطُرقا

فلن نضيعَ وقد حلّت مطامحُنا

في قمّةِ المجدِ واحتلَّتْ بنا الأُفقا

ولن يموتَ امرؤٌ ذكراه قد بقيتْ

ولا يعيشُ امرؤٌ في دمعه غرقا

يحتلني هواها

أنعِمْ بمن تحتلُّ من يهواها

فيظلُّ مأسورًا لفيضِ لَماها

وتهبُّ في وجدانِه أنسامُها

فيطيرُ حرًّا في خِضَمِّ سَناها

هذا أنا المجبولُ حبًّا للتي

صبّت بروحي من صميمِ رضاها

أهرامُها رمزُ الحضارة والعلا

كجُمانةٍ تختالُ ما أبهاها

والنيلُ يسكبُ ماءَه متحدِّرًا

في مُهجتي ويشعُّ فيَّ ضياها

وأضمّها فتضمّني حتى الصبا

حِ أشمُّ من جِيدِ الحياءِ شذاها

فتهزّني وتقولُ لي اذهبْ يا بُنيَّ

مُوفَّقًا وتحثّني عيناها

فأودّعُ الألقَ البهيَّ وأرتوي

من نورِ طلَّتها ومِن يُمناها

حتى أعودَ فأرتمي في حِضنها

أنعِم به وبثغرها ونداها

كالطفل الرضيع

تمشي الهوينى في دمي

والنفسُ تلفحُها الدموعْ

والحزنُ يُعصَرُ في فمي

والفَقدُ كالسُّمِ النقيعْ

ويلومُ شمسي خاطري

لم لا تكفُّ عن الطلوعْ

ألِأنَّ قلبي هائمٌ

في الحُلمِ كالطفلِ الرضيعْ؟

أعلمتِ أم لم تعلمي

يا مصرُ كيف هو الطريقْ؟

تتغلغلين بأعظُمي

وعلى ثنِيَّاتِ العروقْ

شعري بأُفقك حائمٌ

كالفَجرِ والطيرِ الطليقْ

كالبرجُ حُبّي قائمٌ

وأشدّ من هرمٍ عتيقْ

طوبى لبنت الأنجم

طوبى لإنسان العيونْ

يا أمَّ كلِّ معلمِ

أصلَ الثقافةِ والفنونْ

فِيضي فأفقُكِ غائمٌ

واستخرجي الكنزَ الدفينْ

فأمام بابكِ واقفٌ

فَجري بمفتاحِ القرونْ

مدرسة الحب

حُسنٌ على وجهِ الحبيبةِ شَيّقُ

ويكادُ من فِرطِ الوضاءةِ ينطِقُ

السحرُ يمخرُ في بحورِ جمالِها

والريحُ ريحُ المسكِ منها تعبَقُ

والجَبهةُ المرآةُ كالماءِ الذي

لِسكونِه يبدو سماءً تَغرِقُ

والشَّعرُ ليلٌ حالكٌ لا ينجلي

إلا إذا شَقَّ الظلامَ المِفرَقُ

من ذا يَعُدُّ خيوطَه وهو الذي

شُدَّ الزمانُ به وسِيقَ المشرِقُ

وذؤابةٌ منها تهزُّ النيلَ والـ

أُخرى يداعبُها الخيال المُطرِقُ

أحداقها صُبغتْ بأسودَ حالكٍ

حتّى كأنّ الليلَ منها يُطلَقُ

والحاجبانِ كأنّما خُطَّا بِريـ

ـشة مُتقِنٍ كالقوسِ حين يُعلَّقُ

مِن دلِّها رغم اتساعِ المُقلتيـ

ـنِ يَزينُها خَفَرٌ وجفنٌ ضَيِّقُ

ألقٌ يطوفُ بجفنِها فكأنّما

حولَ النخيلِ يطوفُ مُهرٌ أبلقُ

مَن أَرْبَكَ الإحساسَ حين تهلّلت

عينُ المها فالرِّمْشُ منها يخفقُ؟

مَن ذا يقاومُ طرفَها النعسانَ لا

من عِلَّةٍ والغُنج فيه مشوِّقُ؟

قمرٌ إذا سفرَتْ تلألأ والخدو

دُ تخالُها قمرينِ حينَ تُدَقّقُ

كالأرجوانِ هما ومن لونيهما

يسـقي الغـروبُ سـماءَنا والمشـرِقُ

تفّاحتانِ وقد تَقَطَّرتا دمًا

يا نِعمَ ذلكمُ النقاءُ المطلَقُ

والأنفُ ذا هرمٌ ونِعمَ الأنفُ ما

تغري به كُثُبُ الخدودِ وتُطْبِقُ

وفمٌ كمثلِ الوردةِ الحمراءِ فو

قَ وسادةٍ خجلى وبدر يصدُقُ

فأذوق من هذا النميرِ وأرتوي

متضلِّعًا بالشَّهدِ حتّى أعرَقُ

فيفوحُ منّي المسكُ لا أنسى له

أثرًا بريقي ما حييتُ أُذوَّقُ

لا تضربوا عند السؤال لريقها

مثلًا بخمرٍ في الدِّنانِ تُعتَّقُ

فالخمرُ تذهبُ بالعقولِ، وريقُها

هو نبعُ إبداعٍ وأرضٌ تُفتَقُ

ومذاقُهُ سِرُّ القصيدِ وومضةُ الـ

إلهام أطيافُ الربيعِ تُحلّقُ

فكأنَّ أسواقَ اللطائمِ جُمّعتْ

في ثغرها والعسجديةُ تَبرقُ

فأظلُّ أسقي العينَ من إشراقِها

وأبِيتُ من ريّا الشذى أستنشِقُ

ماذا إذا نفثتْ على جُرحِ الضّنى

أو أنّها بالقلبِ كانتْ تَرفُقُ؟

والنورُ من بينَ الثنايا جذوةٌ

سطعتْ فهذا الصبحُ منها يُشرِقُ

في صدرِها ارتفعتْ تلالٌ فوقَها

نَبتَتْ حضاراتٌ وظلّتْ تَسمُقُ

رمانتانِ به تألَّقتا هُما

هرمُ الصمودِ وبرجها المتأنُق

ومعَ استقامتِها اعوجاجٌ ساحرٌ

والماءُ بينَ الشاطئينِ مُرَوَّقُ

هو كوثرٌ من جنّةِ المولى ومن

شهدِ الأحبّةِ نهرُها المتدفّقُ

حتّى ذراعيها اشتهيتُ مداهُما

والكفُّ ليّنةٌ تجودُ وتُغدِقُ

يا حضنَها المملوءَ دفئًا ضُمَّني

حتّى كأنّي في الفضاءِ أُحَلّقُ

تأتي إليَّ كأنّها شمسُ الضّحى

فإذا بدتْ أخْفَتْ نجومًا تَبْرُقُ

في مِشيةٍ بدويّةٍ قرويّةٍ

كالغيمِ متئدٌ سُراهُ ويُغرِقُ

والعودُ شلالُ اللآلِئِ سِرُّهُ

تحكيهِ سنبلةُ الزمانِ فتصدُقُ

والقدُّ لا تضربْ له ولحُسنِه

مثلًا بغُصْنِ البانِ لمّا يُورِقُ

والخِصرُ مُنْدَقٌّ فمَن ينظرْ له

حسِبَ المجاعةَ منذُ عامٍ تُحْدِقُ

لكنّه ما إنْ رأى أنحاءَها

من نعمةٍ أضحى الجنانُ يُحَدِّقُ

تترجرجُ الأفياءُ حين تهزّها

فيفوحُ منها مسكُها ويُطَوِّقُ

في رِقّةٍ تمشي فيتبعها الورى

كالشمسِ تسعى والكواكبُ تَلحقُ

في ثوبِها الفضفاضِ يمسحُ خطوَها

ينسابُ كالليلِ الطويلِ ويُهرَقُ

وتقودُ أفواجَ الحسانِ بقدرةٍ

في حكمةٍ تمضي كسيفٍ يَفْلِقُ

إن شئتَ أن تسعى على خضرائِها

فاخلعْ بها نعليك يا مَن تَعشقُ

هي درةُ الآفاقِ مَهبِطُ علمِها

وحضارةٌ شمختْ وفجرٌ يَصْدُقُ

وهي اللواءُ الحقُّ في معراجِنا

وإذا افترقْنا فهي حبلٌ مُوثَقُ

مدَّتْ شِراعَ الحُبِّ والسِّلمِ الذي

رغمَ العواصف دِرعُه لا تُخرَقُ

تتعانقانِ حمامتي وغيومُها

فتفيضُ أمطارُ الهوى وتَرَقْرقُ

تِلكُمْ حبيبةُ قلبيَ الولهانِ قد

أمستْ تصبُّ به شُواظًا يَحرِقُ

يا دَفَّةَ الأكوانِ قِبلةَ حُلمِنا

شُدّي الشِّراعَ إلى غدٍ يتشوَّقُ

ألوانُ طيفِكِ يا حبيبةُ قد غَدَتْ

سوداءَ في ثوبِ الضحيّةِ تحنِقُ

والقاتلُ المأفونُ يَسرِقُ حُلمَنا

غضًّا ويُسكِتُ مَن يشاءُ ويَسحَقُ

من فكرةٍ سوداءَ ينطلِقُ الرَّصا

صُ، وأيُّ فكرٍ بالإبادةِ ينطِقُ!

يتجمهرُ الأعداءُ منهمْ خادعٌ

متستّرٌ بالدينِ أو مُتشدّقُ

والآخرونَ السارقونَ تسوقُهم

أطماعُهم حتّى بمالِكِ أُغرِقوا

لا يا حبيبةُ لا تظنّي أنّني

سأظلّ أحرُسُ مرغمًا من يسرِقُ

أنا عنترُ العبسي مُهري غاضبٌ

والنوقُ مَهري في الشوارعِ تسبقُ

من ذا يَردُّ نفورَهنّ ويحتوي

صيحاتِهنّ ومن سِوايَ يُفَرّقُ

يا أيُّها المغرورُ سلْ مجنونَ ليـ

لى كيف كانَ الحبُّ نارًا تَحرقُ

لا .. لا تُجَربْ أن تقيسَ محبّةً

يسعى بها عندَ الكريهةِ فيلقُ

سَلْ نظرةً فتّاكةً من لَحْظها

سبقتْ لقلبكَ كلَّ سهمٍ يُرشَقُ

والعقلَ إذ طاشتْ به أنغامُها

فكأنّه في نشوةٍ يتأنّقُ

والظلَّ تحتَ جناحِها متشابكًا

والحلمَ مخضرًّا وحُسنًا يُهرَقُ

وسلِ المغامرَ كيفَ يعرفُ شَطَّهُ

حينًا يُقبّلُهُ وحينًا يرمُقُ

والشاطئَ المفروشَ عشبًا ناضرًا

والنيلَ يلثُمُ ضفتيهِ ويُغرِقُ

هذي الحبيبةُ شكَّلَتْكَ بحسنِها

وتكفّلتكَ وأنتَ عودٌ مُورِقُ

صبغتكَ من لونِ السنابلِ فارتوتْ

منها ملامحُكَ التي تتألّقُ

ضمّتكَ مثلَ الأمِّ تُعطي روحَها

فعققتَها ووأدتَ رُوحًا تُشْفِقُ

حتّى غدوتَ جُمانةً في كَنزِها

فسرقْتَهُ والحبُّ لا .. لا يُسرَقُ

أثخنْتَها وملأتَ من دمها الكؤو

سَ ورُحتَ منتشيَ الجوانحِ تغبِقُ

وتركتَ مهجتَها بقارعةِ الطريـ

قِ وليس من آسٍ هنالكَ يَقْلَقُ

أتُراكَ من أمٍّ سواها أم تُرا

كَ رضعتَ كُرهًا من عدوٍّ يَحنِقُ

من أين أنتَ؟ أما شربتَ على الظما

من نيلِها؟ وبحبْلِها تتعلّقُ

أم لم تَنَمْ في حضنِها وتَذُقْ جنى

جنّاتِها أم خُنتَها يا أحمقُ

قد خُنتَ قِبلَتَها فخانَكَ دربُها

والدربُ دون عُرى المحبّةِ يأبِقُ

فاذكُرْ رُضابَ الشّهدِ من ثَغْرِ النّدى

أم أنّ شِدْقَكَ لم يَعُدْ يتذوقُ

ذُقْ ما رشفتَ من الأسى بعد الرضا

أينَ اختباؤُكَ والدياجي تلحَقُ؟

حقًّا فإنّكَ ما عرَفتَ جمالَها

كلّا ولا لجناحِها تتشوَّقُ

يا قرةَ العينِ التي جُرحتْ ولا

من ذي صلاحٍ بالحبيبةِ يَرفُقُ

هذي دماؤكِ لن تضيعَ سدىً ولن

يسعى بها نحو الوقيعةِ أشدقُ

من سرِّ نبضِكِ سوف يسطعُ حُلمُنا

والفجرُ من عُمقِ الدياجي يُطلَقُ

وترابُكِ المعجونُ من دمِنا ستَنْ

بُتُ منه أفئدةٌ تضِجُّ، وتَحنِقُ

لا لن نرى أفقَ الحبيبةِ حائرًا

إلا رسَمْنا فيهِ شمسًا تَشْرُقُ

أيّانَ يطلبْنا الإباءُ نَطِرْ له

وبرغم ريحِ المُرجفينَ نُحَلّقُ

الحارسونَ الطامعونَ بنيلِنا

خانوهُ حتّى كادَ حزنًا يَشْرَقُ

شنقوا كرامتَهم فِدَى أطماعِهِم

والجهلُ في صدرِ الغبيّ مُعَتَّقُ

ومضَوا على دربِ الخيانةِ مالَهم

إلا ضميرٌ بالجحودِ مُوَثَّقُ

إنّ الوفاءَ غدا جنايةَ عصرِنا

عندَ الذي في خُبْثِهِ يتخندقُ

لكنْ بمصرَ برَغم ذلكَ عُصْبةٌ

من فتيةٍ صمدوا ولو أن يُحرَقوا

وتهلّلوا لمصيرِهم حتى غدا

جوفَ العداوةِ بالضغينةِ يَشهقُ

كانوا بظلِّ اليأسِ دومًا بُقعةً

نفذَتْ إلى أرضِ الرجاوةِ تبرقُ

كانوا رجالًا والرجولةُ مبدأٌ

أعلى من البدرِ المنيرِ وأصدقُ

كالموجِ بل كالبحرِ إلا أنّهم

أنأى شطوطًا كالخيالِ وأعمقُ

يمشونَ فوقَ الحلمِ وِفقَ عقيدةٍ

كالرمحِ لا تُلوَى ولا تترقّقُ

والرِّجْلُ إن بُتِرتْ يقولوا إنّها

جزءٌ عساهُ لدارٍ عدنٍ يسبقُ

ها هم أولاء الساهرون بثغرها

حُرّاسُها من كلِّ شرٍّ يحدُقُ

من عُمرِهم من دمعِهم من مالِهم

بذلوا ومن أنقى الدِّما قد أنفقوا

يا مصرُ يا معشوقتي قُومي فقد

غِبنا كثيرًا في حضيضٍ يخنِقُ

هيّا نغادرْ فالفضاءُ يحثُّنا

والمجدُ منتظرٌ ونجمُكِ مشرقُ

هيّا نطرْ كي يستقرَّ المجدُ كي

يرضى بلُقيانا المقامُ الأليقُ

أنا طائرٌ كُوني سماءً ثرّةً

لا شكَّ أنَّ الظنَّ فيكِ مُحقَّقُ

فلَأحمِلنّكِ رغمَ كلِّ مواجعي

إنّ المعالي بارتقائكِ أخلقُ

حتّى إذا انفلقَ الصباحُ تذكّري

رجلاً على رغمَ الإساءةِ يعشَقُ

ترنيمة عاشق

يا مصرُ أنتِ نبوءتي يومَ انطفائي واتّقادي
يا ثورةَ الإبداعِ يا قلمًا وبحرًا من مِدادِ
يا حِضنَ أمٍّ يا رعا يةَ والدٍ يا لحنَ شادِ
سيري على عينِ العنا يةِ واسحقي شوكَ العنادِ
فإذا تعبتِ من الترقّ ي ثمّ أغراكِ التّمادي
فتشبّثي بالحُلمِ مَن ثُورًا على لحنِ التّنادي
ما كانَ نيلُكِ غيرَ شِقِّ السيفِ في صدرِ الأعادي
والرملُ مُنبسطٌ كبُس طِ السائرينَ على رشادِ
أهرامُكِ الشّمّاءُ رم زُ الصبرِ والقومِ الجِلادِ
والحارسُ الأسدُ الهصو رُ يكادُ من تيهٍ يُنادي

متربصٌّ مَدَّ الذرا ... عَ كمَنْ تهيَّأَ للطِّرادِ
وحقولُ أُرزكِ ضحكةُ الـ ... ـشّمسِ المُطلّةِ من فؤادي
والقمحُ مثلُ التِّبْرِ ما ... أحلاه أيامَ الحصادِ
والقطنُ بينَ الطينِ ما ... أصفى البياضَ معَ السّوادِ
يا أيّها المشتاقُ للـ ... ـنّورِ المُثَنّى بازديادِ
هبْ للرياحِ جناحَكَ الـ ... ـمجذوبَ للصّرحِ المُشادِ
فإذا وفدتَ فما أبرَّ ... الشعبَ في طيبِ الوفادِ
أقْبِلْ لسامقةٍ كمِثـ ... ـلِ الشامخاتِ من الوهادِ
فالسِّلمُ مكفولٌ بأمـ ... ـرِ اللهِ لا أمرِ العبادِ
والضّحكةُ البيضاءُ تسـ ... ـري في الحياةِ وفي الجمادِ
فإذا دخلتُمْ فادخلو ... ها آمنينَ من العوادي
يا مصرُ حبُّكِ كاليقيـ ... ـنِ وما اليقينُ سِوى
أنا ما ارتخيتُ لغيرِ وصـ ... ـلِكِ إنّني صعبُ القِيادِ
لا تشبعُ العينُ المحبّـ ... ـةُ منكِ يا سرَّ انفرادي

فالعشقُ مَنبعُهُ عيونُكِ سارحًا في كلِّ وادِ
يحدوهُ نيلُكِ ساقيًا كلَّ الحواضرِ والبوادي
يا سيفَ أُمّتِنا الجريحةِ والأعادي في اطّرادِ
الفجرُ أنتِ أطلَّ مَرسُومًا على رأسِ الطُّوادِ
من بَدْئِكِ المحفورِ في أصلِ الخليقةِ لم تُقادي
كلا ولم تيأسْ فؤوسُكِ من ترانيمِ الأيادي
كالأرضِ ترتقبُ السواري بعدَ زخَّاتِ الغوادي
هاجتْ طيوفُكِ لي فهِجْتِ يُعاقِرُ الحُلمَ اتقادي
وتعلّقَتْ كالنقعِ والرّيحُ الكئيبةُ في تمادِ
فتبعثَرَتْ ذكراكِ يا سِفرَ الوجودِ معَ البِعادِ
وتجمّعَ الحُبُّ الهجينُ منازعًا عشقَ البلادِ
أنا ما شَغِفْتُ بغيرها يومًا ولا بانتْ سُعادي
يتغرّبُ المجنونُ حُبّا هائمًا في كلِّ وادِ
مُتَلَفِّتَ القلبِ المُعَنَّى وهْوَ مشدودُ الصِّفادِ

كلُّ الذين عَرَفتُهم في الحبِّ قد سهدوا

من لفحِ حُرقةِ صدرِهِم تبدو العيونُ كما الجمادِ

يا مصرُ لمحُكِ سلوتي والشعرُ فيك أحبُّ زادي

ودمي إذا سالتْ دمو عُكِ منبعٌ صعبُ النفادِ

أغدو بجسمي راحلًا لكنّ قلبي غيرُ غادِ

والكونُ في عيني إذا خَفِيَتْ طلولُكِ في حِدادِ

مَن يَسبرُ الجُبَّ العميـ قَ ومَن ينقِّبُ عن وِدادي؟

فرسوخُ حُبّكِ في دمي كالأرضِ والسبعِ الشدادِ

آهٍ فديتُكِ يا ربا بةُ يا سُكوني واحتشادي

يا مُلتقى الذكرى الجميـ لةِ مَن أثارَكِ بالفؤادِ؟

أوما أكادُ أفيقُ من سُكْرِ الجروحِ ومن سُهادي

حتّى يضجّ بي الحنيـ نُ مشتِّتًا سُحْبَ الرُّقادِ

ويُقيمُ بيتًا من شمو عِ الأمسِ مرفوعَ العِمادِ

ذكراكِ تسكبُ في دمي الـ عطشانِ سيلًا من مِدادِ

دقّاتُ مِسبحةٍ مدى سجّادةٍ ودموعُ شادِ

خطواتُ إبراهيمَ يحـ ـدوها من البرهانِ حادِ

ورحيلُ هاجرَ للخلو دِ مرددٌ رجعَ البوادي

تأويلُ يوسفَ للعزيـ ـزِ رؤاهُ في حَبِّ الحصادِ

طفلٌ وتابوتٌ وأمٌّ ترتجي ربَّ العبادِ

يا أمَّ موسى لا تخا في أبشري فالله هادِ

والطورُ والزيتونُ والـ ـخيرُ المُمَدَّدُ في اطّرادِ

لله درُّكِ كم بنيـ ـتِ من العقولِ كما

أبكي مغانيكِ التي كانت كقِبلةِ كلِّ صادِ

واليومَ كيف يُضَخُّ ما ءُ النيلِ في صخرِ الأعادي

ويباعُ قمحي ذابلًا بخسًا بأسواقِ الكسادِ

والشِّعرُ مبتئسٌ فوا خجلاهُ من قسِّ الإيادي

كانت تَصُفُّ ببابِ جُو دِكِ أنفسٌ ملءَ الوِهادِ

فتجود كفُّكِ للشعو بِ بهادرٍ ثَرٍّ مُعادِ

كم ذا لجودكِ يا فتا ةُ على الجميعِ من الأيادي

حتى ملكْتِ من النّدى مُهجَ البواكي والشوادي

مَن كان طارفَه العَلا ءُ فقد تأثَّلَ بالتّلادِ

لم ألقَ مثلَكِ جَنّةً تشكو وفيها الخيرُ بادِ

جُمِعَتْ بأرضكِ من قديـ ـمٍ كلُّ ألوانِ التضادِ

وجمالُ وجهِكِ فاتنٌ أهلَ الهدايةِ والعنادِ

سِيانِ عندكِ عاشقٌ ذراتِ رملِكِ والمُعادي

يبدونَ حولكِ يا بهيّـ ـةُ مثلَ سهلٍ من جرادِ

يتشبثونَ بكلِّ جسـ ـمِكِ مثلَ سيلٍ من قُرادِ

فتركتِهم هملًا كمَن رَتَقَ الجراحَ على فسادِ

والمخلصون يرون فيـ ـكِ الليلَ محكومَ السوادِ

يتجرّعون القُربَ منـ ـكِ كأنّهُ عينُ البِعادِ

فقذفتِهم من بحركِ الـ ـظمآنِ في شطِّ الأعادي

ونفيتِ آخرَ عاشقٍ وكأنّه من قومِ عادِ

للهِ ما أقسى التغرّ ... بَ عن ثراكِ بلا معادِ
كمسافرٍ في التيهِ مع ... صوب العيونِ بغير زادِ
يا مبدأَ الآمالِ إنّ ... القلبَ منكِ إليكِ صادِ
متجرِعٌ مرَّ الرحيـ ... ـلِ كأنّهُ جمرُ الرّمادِ
إن طارَ عنكِ بلا جنا ... حٍ كيف يهبطُ بالبلادِ
فمتى التقاءُ العاشقَيْـ ... ـنَ؟ وكيفَ من بعد
الكونُ بَعدكِ ناقصٌ ... والجرحُ دومًا في ازديادِ
إن نمتُ أفترشِ اختِنا ... قي فوقَ حقلٍ من قتادِ
أو قلتُ: أسهرُ بُعثرَتْ ... كلُّ الهمومِ على وِسادي
ألقاكِ بالحبّ المُعَتَّـ ... ـقِ واللقا أقصى مُرادي
أطوي المآسي كي أرا ... كِ على مسافاتِ الودادِ
يسقي الغمامُ طيوفَ أمـ ... ـسِكِ والشبابَ بكلّ نادِ
يتكاتفونَ على الصّمو ... دِ أمامَ دَفْقاتِ العوادي
ويفجّرونَ النورَ شـ ... ـلالًا بفكرٍ غيرِ عادي

يسعَوْنَ للغدِ حالميـ ـنَ لأجلِ إصلاحِ الفسادِ

وعلى الحدودِ الجُندُ كالـ ـحِمَمِ المُعَدَّةِ للشِّدادِ

هم في الوغى كالليلِ ير كَبُ فوقَ بحرٍ من جِيادِ

يتربّصونَ بكلِّ شـ ـرٍّ مُجمِعونَ على السّدادِ

والبرقُ يَصْحَبُ سيفَهم والرّعدُ في وقعِ الجِلَادِ

هم إن تتابعتِ المُلِـ ـمَّةُ تَلْقَهُم أعتى سِنادِ

يَذْرونَ كلَّ الطامعيـ ـنَ بأرضِنا ذَرْوَ الرَّمادِ

سيُقالُ فجرُكِ متعَبٌ يا مصرُ من طولِ الرقادِ

مَن قال إنَّ الصبحَ إنْ أغفى فليسَ بمُستعادِ؟

كلا فبأسُكِ ساهرٌ بالثغرِ منقدحُ الزنادِ

وشبابُكِ الميمونُ من كلِّ المواهبِ في ازديادِ

قُومي عروسَ الأرضِ يا كُنْهَ المَحَبّةِ والرشادِ

ودعي احتضانَ الأمسِ فالـ ـغدُ للتّرَقّي خيرُ زادِ

يحميكِ من أن تبأسي يا مهجتي ربُّ العبادِ

على الأطلال

أناجي الرسمَ من زمنٍ أُناجي

وأطلالاً تلحَّفتِ الدياجي

وقفتُ معي الزمانُ على تراثي

أبثُّ إليهِ همّي وانزعاجي

وأخطو لستُ أدري أيَّ دربٍ

يقيني زلّتي ويقي اعوجاجي

وأستهدي الضياءَ ولا أراهُ

وهل يُجدي بداجيةٍ سراجي

وأطلبُ من فراتِ النيلِ كأسًا

فلا أُروى سوى الملحِ الأُجاجِ

أنشربُها مكَدّرةً وإنّا

رُوِينا العزَّ نيليَّ المِزاجِ

فلا واللهِ لا يُغتالُ نيلي

ولا يخبو بسنبلتي ابتهاجي

بنَيتُ على ذرا الأمجادِ بيتي

فعانقَ نورَ هذا الصبحِ تاجي

ولما ثرتُ لم أثأرْ ولكنْ

جميع الناسِ يسلمُ من هياجي

ولما أمكنَ الأشرارُ منّا

فما أحدٌ ولا الأطفالُ ناج

يرَونَ الحقَّ ما زكّى هواهم

فما يدَعونَ من خيرٍ لراج

تحترق الأجنة

الآنَ تحترقُ الأجِنَّةُ

والمراثي تنطلقْ

والعارُ يَكتبُ سِفرَهُ

والموتُ يلتهمُ الطرقْ

الآنَ تبكي الشمسُ

يغرَقُ بحرُنا

والنيلُ يمشي مُرغَما للخلفِ

والأهرامُ ينقضُها الأرقْ

أمشي بحارتِنا الكئيبةِ

لا أرى ظلّي

فأهربُ في المنافي

والشوارعُ تختنقْ

وتكادُ تلفظني المسافاتُ الحزينةُ

أيُّ دربٍ يحتويني؟

أيُّ جرحٍ أستطيعُ الغوصَ فيهِ؟

وكلُّ بابٍ منغلقْ

أُمَّاهُ عذرًا

لحنُكِ المسكوبُ أمسى خافتًا

والنسرُ في العلمِ البهيِّ يكادُ حزنًا يَفترقْ

فالأفق تملؤه رعودٌ وانفجاراتٌ

ولا ندري أهذا مِن بنيكِ

أم البغايا قد ولدنَ لنا القلقْ

أمّاه عذرًا

يا بهيّةَ شرقِنا

إن طرتُ عنكِ إلى الأفقْ

كم تحلمين

كم تحلمينَ
ولكن الحلم الذي صغناه لم يعرفْ طريقًا للوجودْ
حتى الأماني
لم تعدْ من بعدِ هجرِكِ حرّةً
من ذا يعيدُ لها جناحيها؟
ومن يهَبُ الضحى المكبوتَ بوصلةً
يهزُّ بها جذوعَ الأفقِ يسَّاقطْ ضياء وابتهاجا بالخدودْ
من ذا يخلّصُ فجرَنا المحبوسَ في عمقِ الوريدْ
أحتاج ألفَ يدٍ تؤازرني
وريشةَ مبدعٍ
وخيالَ شاعرْ

من يغرس الأفاق بالنور البهي؟

ومن يغامرْ؟

من ذا يعيدُ لي السكون

يمدني

من فَجره خيطا أفكُّ به القيودْ

هذي رسائلُكِ الطريحةُ في البريدْ

هذا ضلالُكِ في المسيرْ

هذا نشيدُكِ لو سمعتِ

تبثُّه الغربانُ

والغربانُ سودْ

من ذا يردُّ إلى الهَزارِ صدى النشيدْ

أفيقوا

يا أعداءَ النورِ أفيقوا

لن تغربَ ممّا اقترفت أيديكم شمسي

لن تغربَ رغمًا عن هذي الأشلاءِ حياتي

يا أعداءَ النورِ أفيقوا

لن أحيا أبدًا في أمسي

لن تختطفوا كلَّ مساحاتي

وسفينَ نجاتي

ها هو صوتي

ها هو همسي

من منكم يدركُ سرَّ مناجاتي

صبّوا إن شئتم نيرانَ الحقدِ

فلن يُطفئَ حقدُكمُ أحلامي

لن يُشعلَ صوتُكم مُرَّ شكاتي

أنا شمسٌ

أنا بحرٌ

أنا أُفْقٌ مُمتدٌّ

وطريقٌ موثوقُ الخطواتِ

لن يجرحَني دمعُ الزمنِ الماضي

لن تغلبَني أسواري

لن تسبقَني عثراتي

حتى الليل المسفوح فلن يُغرقَ لمحاتي

لن يَطمِسَ صوتي

فضميري ملتهبٌ

والنبض يسابقُ أوردتي

ويضخُّ الأملَ المتدفّقَ في عمقِ حياتي

من يغلبني؟

والله وكيلي

من يتعبني

والحقُّ دليلي

لن أحيا مخترَقَ الشرفاتِ

مسلوبًا منتهكَ الحرماتِ

سأواري عارَ الإخْوَةِ في الماضي المنسيّ

أغادرُ كلَّ مَحطّاتي

سأسافرُ عن ذكرى أمسي

للحاضر

للآتي

أتشبّثُ بشعاعٍ منبثقٍ من نفسي

لن أبحثَ عن كفٍّ دنسةْ

لأصافحَها

لن أغرقَ في صدرٍ وبقايا نجسةْ

لأعانقها

فاختصموا في النّور وقولوا: ظلمةْ

واقتبسوا من قصّةِ قابيلَ نهايتَه أو ظُلمهْ

إنّي أعرفُ نبعَ النورِ وسرَّ حياتي

وبذوري الرطبةُ

أقذفها فتعانقُ في جسدِ الآمالِ الطينا

فالأرضُ بأعماقي تثمرُ يقطينا

مهما أزهقتم روحَ بناتي

مهما أصررتم أن أتركَ أرضي

فلسوف أهاجرُ برمالٍ تسكنُ جسدي

وترابٍ يتغلغلُ في رئتي

لكنّي لن أدع ظلامًا يقفز في عيني

أو يكسو صفحاتي

ويضيّع محبرتي ويريقُ دواتي

سأظلّ الخيطَ الواصلَ بين الماضي والحاضر والآتي

وتظلّ الريشةُ تكتبُ مهما أرهقتم آمالي

وسرقتم كلماتي

ومحوتم من فوقِ رمالي ظلَّ الحرفْ

لن أخبوَ في أطلالِ الخوفْ

لن أسمعَ لغرابٍ ينعِقُ فوقَ تماثيلِ الزيفْ

لن أقبلَ أن أبقى مثلًا للموتِ

ولا لحنَ المأساةِ على وقعِ دُفوفي

يا تماثيلَ الخوفِ هلمّوا

إن البحرَ قريبًا يجرفُكم

وسننجو

من غضبِ الموجِ على فُلْكٍ من ألقٍ وطيوفِ

من يسبح عكسَ التيار فسوفَ يجيدُ فنون التجديفِ

وهناك تعود الأرضُ الخضراءُ إلى الرملِ الملهوفِ

وتعودُ الشمسُ لمجراها

ويرِقُّ الخيرُ لِلَمسِ كفوفي

يا أعداءَ النورِ أفيقوا

لن يخبو ممّا اقترفَت أيديكم نجمي وحروفي

فجري يعود القهقرى

فجري يعودُ القهقرى   يا إخوتي ماذا جرى؟
أوشكتُ أن أطأ العلا   والكونُ حولي أزهرا
وظننتُ معراجي على   رغمِ الدُّجى مستبشرا
حُلمى يعاقرُه الندى   ويخطُّ صبحًا أنورا
والأفقُ يوشك أن يُرا   ودَه الضياءُ فينثرا
فيغارُ منه الليلُ يقـ   ـسمُ لا يغادرُ مُقفرا
حتى يعاقرُ دمعتي   ويذيقُ منها الأنهرا
أبشِرْ فإني قابلٌ   يا ليلُ أن أتصبّرا
فامكُثْ بأفقِ عروبتي   مُكثًا كئيبًا أكدرا
وانهلْ من الدمعاتِ وامـ   ـلأ جوفكَ المتحجّرا
فإذا ارتويتَ فخلِّني   واتركْ رفاتي المبهرا
واحذرْ إذا جُزتَ الشهيـ   ـدَ الحرَّ أن تتعثّرا

فُجْرُ السياسة

ما أبأس تلك اللحظات التي يَقتُل فيها مصريٌّ غيره، أو يتسبب في ذلك؛ لأهداف سياسية؛ إذ إن القاتل والمقتول من رحم واحدة.

مصر التي في ناظري هانت وهُنـّ

ـا، ليلُها الظمآنُ مرتشفٌ سوادَهْ

واستَمْرأَ التاريخُ أن يحكيْ حكا

يتَنا بصفحاتِ التردّي والإبادةْ

أدري بأن الفجرَ لم يتوقع الـ

ـقتل المنظَّمَ في سراديبِ القيادةْ

قادوا الشبابَ لحتفِهم فمَن الذي

أذكى لهيبَ الكُرهِ فينا وامتدادَه

في الشام يرمون الرّصاصَ على

ر الشعبِ كي يلقى الشهادة

هل أقسمَ الفجّارُ في مصرَ الجريـ

ـحةِ أن تكونَ لنا امتحاناتُ الإعادة

يا سَوطَ مصرَ بأي عذر يرتقي

نفرٌ من الأخيارِ من أجلِ السيادة

أرأيتَ جرحَكَ نافذًا في مهجتي

ودمي يسيلُ وما شبعتَ من الزيادة

غُصْ في دمي إنّي أُحبكَ وارتشفْ

ألمي ونِلْ بهما مقاليدَ الريادَة

يا سَوطَ مصرَ فداكَ جُرحي إن أَرَد

تَ فلا تَخَفْ لعناتِ قلبي أو سوادَه

أوصيكَ إن أرديتَني ألا ترى

في مهجتي هذا الرصاصَ ولا مِداده

أمي تُسائلُني عن القتلى أهُم

في الشامِ؟ والقلبُ اكتسى حزنًا حدادَه

وتلحُّ في التَّسْآلِ حتى أَشعلَتْ

بالصمتِ شِعري وهْو يستجدي

كنّا على أبوابِ شهرٍ نرتويَ

بالنورِ يهمي في محاريبِ العبادة

لكنّه رمضانُ هذا العام قد

نلقاه في فتنٍ تموجُ بلا هوادة

والفَجر قد أرخى نداهُ على دويّ

رصاصِ قنّاصٍ ليغتالَ السعادةْ

والفُجرُ في ظلّ السياسةِ قادنا

نحوَ اقتتالٍ مَن يُنجّي مَن أرادهْ؟

مَن ينجي مَن أرادهْ؟

زفّ الدماء

ينقسم الشعب إلى شعبين، وكل شعب ينقسم إلى فرق، وكل فرقة إلى أحزاب، وكل حزب يحمل سلاحه، ثم يقع الهرج، وكل واحد من هؤلاء يرى أن الحق معه، وليس والله من خير إلا في الجنوح إلى السلم، إنها الصورة المشوهة للأمة.

زفّ الدماء فإنها متحرِّرهْ
جدّدْ بها شِعري وجدّدْ جوهرَهْ
فجّرْ بها الآمالَ واسلُك دربَها
واملأ بها رغم المآسي المحبرةْ
وأرِقْ على جرحي الدموعَ فقد روى
شهداؤنا صحراءَ مصرَ المُقفِرةْ
أطفئ شموعَ الفجرِ فالشامُ الحبيـ
ـبة أظلمت وامدُدْ بساطَ المقبرةْ

وأمِطْ عن الطرقاتِ أشلاءَ العلا

فالسفحُ قد أخفى خيوطَ المجزرةْ

لم يبق من أملِ الخلاصِ سوى شعا

عٍ ليسَ من أفقٍ هناكَ لينشرَه

لا صوتَ يُسمعُ غيرُ نوحِ حمامِنا

والنوحُ يكتُمه هديرُ مُجنزَرةْ

زُفَّ الشهيدَ ولا تَنُحْ فدماؤه

كالنيلِ أجرى للكنانةِ كوثَرَهْ

لا لا تُغَطِّ جمالَه ودَعِ الرّضا

يسري وقل لي مَن بربّكَ بَشّرَه

والقاتلُ المأفونُ موسوم بعا

رٍ دائمٍ ربُّ الورى لن ينصرَه

الليلُ لم يستُرْ جرائمَ غدره

والصمتُ لن يغتالَ صوتَ القُبّرَة

شبّاكُه المفتوحُ يرصُدُ حلمَنا

وسلاحُهُ مستشرفٌ ما أحقره

من خلفِ حاجزِه يُصَوِّبُ غِلَّه

والطهرُ سبّحَ للإلهِ وكَبَّرَه

والصبحُ قد حَفّتْهُ أصواتُ الحما

ئمِ فارتقى بالنورِ حتى ينشره

والفجرُ تشهدُه الملائكُ بينما

إبليسُ يرقُبُ مَن غواه وغرَّره

يا أيّها الغربانُ من أبقاكمُ

في عشّنا؟ فمكانكم ما أنكرَه

ونعيبُكم قطعَ الهُتافَ فأُشعِلَتْ

أرضُ الرّباطِ بزفرةٍ مُتَفَجِّرَةْ

يا جُرحُ سَلْ في الشامِ في اليمنِ

دِ وفي العراقِ ومصرَ فجرًا لم نَرَهْ

سَلْ كلَّ من حكمَ العبادَ فبادَهم

وأقامَ فيهمْ ظلمَهُ وتكبُّرَه

سَلْ عرشَهُ سَلْ كلَّ مَن سبقوه سَلْ

تاريخَهم وديارَهم والمقبرة

يا مَن حباكَ اللهُ حُكمًا سائغًا

فقتلتَ شعبَكَ وانتهكتَ تحرُّرَه

عَجِّلْ بغسلِ طريقِ خُطّتِكَ المُريـ

ـبَةِ قبلَ ما يصحو صباحُ الجمهرة

هيّا استبحْ روحَ الشهيدِ فإنّها

محبوسةٌ واصْنعْ بذلك مَفخرة

عجِّل بقطعِ لسانِه مستخفيًا

فالصوتُ عالٍ ويحَهُ ما أخطرَه

لا تَلْه عن تجفيفِ كلِّ دمائِه

واكذِبْ وقل إرهابُكم قد فجَّره

واصنع له بئرًا سحيقًا ألقِهِ

في قعرها واحلفْ بأنّكَ لم تَرَه

لا ذئبَ يأكلُهُ سواكَ فلا تدَعْ

أحدًا يشاهدُ واعتقلْ من صَوّرَه

لا تنسَ نابكَ بارزًا هيّا ابتسمْ

شاشاتُكَ الحمراءُ أخفتْ منظرَه

هيّا استبحْ كلَّ الصدورِ ونورَها

فاللهُ أحصى ما سفحتَ وأحضرَه

والظلمُ يا مبتورُ لا دربٌ له

سل عنه فرعونَ الغريقَ وقيصرَه

خَلْفَ الشهيدِ مواجعٌ لكنّها

مثلُ الرياحِ تهزُّ فينا أبحُره

لا فُلْكَ تُنجي قاتلًا من موجِنا

أين المفرُّ وربُّنا قد قدّره

جاءَ الشهيدُ مُضَرَّجًا بدمائِهِ

والحقدُ يبسطُ للأخوّةِ خِنجَرَه

لن يبسُطَ الأخُ سيفَهُ لكنَّهُ

يمضي إلى ربٍّ يَقيلُ تَعَثُّرَه

أظننتَ أنّ سلاحكَ المصنوعَ عنـ

ـدَ عدوِّنا يطوي كتابًا سطَّره

لا والذي جعل الرِّضا في عينِه

والنورَ في وجهِ الشهيدِ وعطَّره

فاللهُ خلّدَ ذكرَه أبدًا ومَن

قتلَ الورودَ بأرضِنا ما أبتره!

فبأيّ قلبٍ قد سفكْتَ دماءَه

وبأيِّ حقٍّ قد سرقتَ الجوهرة

لا تنسَ يا قابيلُ لمّا تنتهي

من قتلِ نِصفَكَ غادرًا أن تقبُرَه

وضميرُكَ المفضوحُ مَن قد جرّه

في الوحلِ مَن يا هالكًا قد خدّره

قلِّدْ طغاةَ الأمسِ واسلُكْ نهجَهم

عُقبى اتباعِ المجرمينَ مُدمِّره

أجَمَعْتَ للشهداءِ جندَكَ؟ يا تُرى

ألأيِّ بحرٍ قد هَمَمْتَ لتسبرَه

فرعونُ يفتحُ للزمانِ كتابَه

اقرأ وشاهدْ ظلمَه وتكبّرَه

قفْ قبلما تخطو على تلك السطو

رِ فدربُها متعرّجٌ ما أقصره

واسترجعِ التاريخَ وانظرْ أيَّ سط

ـر تستعيدُ -إذا أردتَ- تذكُّرَه

إن شئتَ أنتَ وجندُكَ المخدوعُ أن

تسعى إلى هذا المصيرِ تكرِّرَه

فاعلم بأنّ دماءَ هذا الشعبِ غا

لبةٌ نفيرَكَ تستخفُّ تجبّرَه

ولسوفَ تغرقُ في خضمِّ فيوضِها

وتسوقُ خلفَكَ مَن وأدتَ تَحَرُّرَه

خُن كيف شئتَ وما استطعتَ وكيف

فبكلِّ عصرٍ مَن يخادِعُ معشرَه

والمكرُ إن ألبستَه ثوبَ التقى

فالشعبُ يوشِكُ هازئًا أن يُظهرَه

في مسرحِ الأشلاءِ مَثِّلْ واجتهدْ

في أن تواريَ عن عيوني منظرَه

وستائرُ النسيانِ تُسْدَلُ بينما

هذي المشاهدُ للخلودِ مُعَمِّرَةْ

فالنورُ مهما قد غفا جمهورُه

لن تستطيعَ بذي الدُّمى أن تسحرَه

يا أيّها القطعانُ ذا فرعونُكم

والبحرُ شُقَّ يريدُهُ أن يعبرَه

فتدبّروا قبلَ المُضيّ وراءَهُ

فالعَودُ صعبٌ والمَنونُ مُسَعَّرة

حقًّا لكلِّ مخاتلٍ أذنابُه

يُملي عليهم ما بليلٍ دبَّرَه

أخفوا الجريمةَ فالنفوسُ ودائعٌ

مهما محوتم، إنّ ربي سطّره

يا أيّها القطعانُ يخدعُكم بما

أفتاه مفتيْ فتنةٍ واستدْبَرَه

أوَتُخدعونَ بذي الذئابِ وكنتمُ

من شعبِنا المطحونِ؟ كنتم أفقرَه

أنتم وحوشٌ لو تراءيتم لنا

كالإنسِ، إنّ نيوبَكم مُستنفِرةْ

واستأجِروا كُتّابَكم كي يكذبوا

بئسَ المُصَدِّقُ مَن يُكَذِّبُ مَخْبَرَه

خسئَ المُؤَجَّرُ فهْو رهنُ بقيّةٍ

مِن مالِهم، بئسَ الدُّمى المُستأجَرة

قلمُ المؤَجَّرُ باهتٌ مهما علا

صوتًا وأخفى ما استطاعَ توتُّرَه

فالبُهتُ بادٍ بينَ فُحشِ سطورِهِ

والزّيفُ كادَ بخُبثِهِ أن يَغْمُرَه

ماذا تركتُم للضّباعِ تلوكُهُ

مِن لحمِنا ومِن الفعالِ المُنكَرَة

عُبُّوا الدماءَ فقلبُكم مُتَحَجِّرٌ

واستمرِئوها كي تُلينَ تحجُّرَه

لعناتُها سبقَتْ رصاصَكمُ النّحا

سيَّ الذي اخترقَ الضياءَ ودَثَّرَه

لكنْ بُروقُ الروحِ لن يجتازَها

هذا الظلامُ وبحرُها لن يَعبُرَه

شعبُ الإباءِ عليكَ من شِعري السلا

مُ فلا تخَفْ أحلامَه المتَكَسِّره

وتأمّلوا فيما يدومُ تجهّزوا

للهِ ماذا عندنا كي نخسرَه

لا تَلْمحوا نجمَ السماءِ وبدرَها

في ليلةٍ واللهِ كانتْ مُقْمِرة

والأفقُ في هذا الصباحِ على شفا

حُرُماتِنا والنيلُ يرفُضُ مَظَهَرَه

واللونُ مطموسٌ يشكِّكُ بعضُه

في الصبحِ يسكبُ في الشوارعِ أحمَرَه

هيّا أبا الهولِ انتبهْ قد تستفيـ

قُ ولا تجدْ أهرامَنا مُستبشرَة

ماتت شعوبُ الأرضِ قبلَ أوانِها

مُذ ودَّعوا مِن كلِّ شعبٍ أطهرَه

يا أيّها المدفونُ في ذرَّاتِنا

عِشْ كيفَ شئتَ ودعْ ثراكَ لنقبُرَه

فإذا رأيتَ اللهَ فاسألْ: يا تُ

مَن قاتلي؟ وعلامَ يَقْتُلُ مُنْكِرَه؟

وبأيِّ حُكْمٍ مِن كتابِكَ في دمي

أفتى الفقيهُ الألمعيُّ وأهدَرَه

وعلامَ يَحْرِقُ جُثّتي؟ لِم لمْ يوا

رِ أخاهُ هل أمروه أن لا يَسترَه؟

اذهبْ حبيبي لا تسلْ عن فَجرِنا

واسكُنْ جنانَ الخلدِ وارشُفْ كوثَرَه

واهنأ فمصرُ اللهُ يرعى أمنَها

واللهُ يُمضي ما أرادَ وقدَّرَه

واغسِلْ همومَكَ هانئًا في نيلِها

واشربْ فإنّ اللهَ فيها فجّره

واترُكْ نزيفَكَ بالترابِ اغمسْ به

قلقي فإنّ رضابَ أنسِكَ عَطَّره

خَلِّ العراقَ تشرذمَتْ أبناؤه

ودِّعْ فلسطينَ الحبيبةَ مُقْفِرَة

والشامَ واليمنَ السعيدَ وكلَّ شِبـ

ـرٍ غارقٍ في الهمِّ يشربُ أبحُرَه

كانَ الربيعُ الحرُّ يوشكُ أن يرى

فجرَ العروبةِ يستردُّ تَحَرُّرَه

فمضى الربيعُ مُخلِّفًا أغلالَهُ

بيدِ العروبةِ بئس حُلْمًا كَدّره

ذهبَ الشهيدُ بجسمِهِ لكنّهُ

يبقى يُصَحِّحُ للزمانِ تَصَوُّرَه

دمعة البحر

في الطفل السوري المهاجر آلان الكردي الذي أحدثت صورته وهو ملقى على شاطئ البحر غضبا إنسانيا واسعا.

بَدِّدْ بموتِكَ أُفْقًا قد غَدا خلِقا

وسِرْ إلى اللهِ وارشُفْ عندَهُ الألَقا

واستقبلِ البحرَ لا تلوي على أَحَدٍ

وقبِّل الرملَ والموجَ الذي نَطقا

واسكُن بروحِكَ آفاقَ الخلودِ وهَبْ

لبحرِنا جسدًا قد أدمنَ الغرَقا

على حذائِكَ ماتَ الحُلمُ وانطفأتْ

شمعاتُ عالَمِنا من بعدِ ما احْتَرَقا

دَفَنْتَ في الرَّمْلِ أبوابًا ونافذةً
للفَجرِ قد أوشكَتْ أن تَلثمَ الأُفُقا
ورُحتَ تحضُنُ أرضًا باتَ باطِنُها
عليكَ أرحبَ مِن كونٍ قد انْغلَقا
يمّمتَ وجهَكَ نحو الغَربِ في أملٍ
فخانكَ المركبُ الموهونُ مذ فُتِقا
نَزَفتَ رُوحَكَ في بحرٍ قد انفطَرَتْ
أرجاؤهُ فكأنَّ البحرَ قد سُحِقا
تزاحمتْ فيهِ أضدادٌ لو انْتَثَرَتْ
في الكونِ لاختلَّ من أهوالِها فَرَقا
يا صرخَةَ العالمِ المنكوبِ تجعلُنا
كالقلبِ منصَدِعًا بالهَمِّ مُنْخَنِقا
تموتُ والعالمُ الغربيُّ ديدنُه
أن يُلقيَ اللومَ أو أن يُبديَ القلقا

لا لن ألومَ بلادَ العُربَ قد أسِنتْ

حياضُهم مذ غَدَتْ أهواؤهم فِرَقا

يا دمعةَ البحرِ لستَ الطفلَ نحسبُه

بل زفرةَ الحزنِ من بحرٍ بها شرِقا

ألقاكَ لا من نفورٍ بل ليفضحَنا

وعادَ يُغرِقُ مَن بالطفلِ قد لحِقا

آلانُ يا صفعةَ العارِ التي صُفعتْ

فلم تدَعْ عن حياضِ الذلِّ مُنعتَقا

رحّبتَ بالهجرةِ البتراءِ عن وطنٍ

قد عاثَ فيه أخو الشيطانِ مُنطلِقا

سلَكتَ كلَّ طريقٍ ترتجي وطنًا

فأَغلقتْ دونكَ الأبوابَ والطُرُقا

فرحّبَ البحرُ إذ لم يبقَ من أحدٍ

يحنو على الطفلِ يمحو الحزنَ

الوأد في البحار

لهفي على البحرِ الكئيبِ العاني

لم قد يُحَمَّلُ مقتلَ الفتيانِ

السالكينَ بلا هدىً لمصيرِهم

والفاقدينَ مِظَلَّةَ الأوطانِ

لمَ قد يموتُ الطفلُ وهو مهاجرٌ

عن حُلمه ويُكَبُّ بالشطآنِ

والمجرمونَ الحارسونَ قصورَهم

يتفيأونَ مغبّةَ الحرمانِ

وأَدوه وهْو تسيلُ منه براءةٌ

وأدَتْ هنالكَ فكرةَ الإنسانِ

السارقونَ الحُلمَ وهْو مُحلّقٌ

والسائرونَ بإمرةِ الشيطانِ

والطامعونَ بمالِهِ وهْو الذي

أضحى من الفقرِ النحيلَ العاني

أوما يحقُّ له بأن يحيا على

أمْنٍ كريمًا مثلَ كلِّ مكانِ

إمّا يعيشُ المرءُ يَرتقُ جرحَهُ

وهْو المهانُ مُجاورٌ لمهانِ

أوْ يُستباحُ لأنّه يومًا رأى

أنْ لا تجوزَ عبادةُ الجرذانِ

يا طفلُ إنّكَ راحلٌ بعروبتي

وإخوتي ومسافرٌ بجَناني

ما أنتَ إلا صورةٌ عن أمّةٍ

بنيانُها متهدِّمُ الأركانِ

ألأنها انكفأتْ على أحلامِها

لما انكفأْتَ كلاكما سِيّانِ؟

يا رملُ قبِّلْ ثغرَهُ وخدودَهُ

وارشف رحيقَ الأنسِ والرضوانِ

حلب الشهباء

أقيامةٌ أم تلكَ ريحٌ عابرةْ

أوَذاكَ حُلمٌ أم دقائقُ فاجرةْ

هل تلكَ أمّتنا الأبيّة أم غَدَتْ

فِرَقًا على غسقِ الدُّجى متناحرةْ

هل بِتُّ تُسكرني الجراحُ وقوسُها

أضحى يسدّدُ بالفؤادِ خناجرهْ

أشلاءُ أطفالٍ ورَقْدَةُ رُضّعٍ

باتتْ تئنُّ من القلوبِ الكافرةْ

يا حُرقةَ الأرضَ التي بِتْنا على

ثَوَرانها أينَ الرياضُ الغابرةْ؟

هل زُلزلتْ زلزالَها وتمزّقتْ

أوصالُها وهوتْ ببئرٍ عاثرةْ

يا لمحَ طفلٍ صافعًا إحساسَنا

يا صرخةً لفّتْ فؤادي عاصرةْ

وابنُ القميئةِ موغلٌ في جُرحنا

ويسوقُ ذا الغرُّ الزنيمُ مجازرهْ

ويصبُّ فوقَ الآمنينَ لأنّهم

ثاروا براميلَ الرّدى المتناثرة

كالعبدِ مأمورٌ لدى أسيادِهِ

الأوباشِ منتظرٌ هناكَ أوامرهْ

فيروحُ يقتلُ شعبَه مستبسلا

ويبيعُ في الجولانِ أرضًا عامرةْ

لو أنّ هذا الغِرَّ باتَ موزعًا

بين ائتلافِ الصابرينَ مشاعرهْ

ويبيتُ مُدَّكِرًا عقوبةَ من غدا

مُتَنَمِّرًا بينَ الأسودِ الكاسرة

لو أنّه ينحازُ للشعبِ الذي

آواهُ مُحتملًا إليهِ مفاخرهْ

أم أنّه ورِثَ البلادَ مُمَلَّكا

سلطانَه ليقيمَ فيه منابرهْ

يا صاحبَ العنقِ الطويلِ لوانّها

مِن طولِها أضحت هشيمًا خائرة

يا منبعَ الإجرامِ كيف غدوتَ في

آجالهم تقضي بعينٍ قاصرة

واللهِ لو أنّ الكلامَ مُكَفِّرٌ

عنّي رُقادي والدماءُ مُسافرة

لكتبتُ فيكَ من الهجاءِ قصائدًا

ولَكنتُ وحدي في هجائِكَ شاعرَهْ

يا قاتلَ الشعبِ الجميلِ وطافئا

في عينه شُعَل النجومِ العابرة

هجّرتَ مُبدعَهم سَجَنتَ شموعَهم

ودَفنتَ كلَّ معارضٍ في الحافرة

شهباءُ يا شهباءُ يا أختَ العلا

يا زهرةَ الأملِ النَّديِّ النّادرة

حرقوا بكِ التاريخَ فانفجرَ العلا

غضبًا على طعناتِ غدرٍ غائرة

يا مَن جمعتِ من الطوائفِ ثُلّةً

من تالدٍ أرسى هناكَ حواضرهْ

ونسجتِ من ثوبِ المحبّةِ رُقعةً

نُسِجَتْ على عينِ الخبيرِ الباصرةْ

يا مَن إذا شبّهتُها لم ألقَ مَن

هو مثلُها إلا القطا المتواترة

علّمتِ سيفَ الدولةِ الشعرَ الذي

كتبَ الخلودَ له ومَدّ مآثرهْ

وصببتِ في مُهجِ الشبابِ معارفًا

كالبحرِ مَدًّا كالأماني هادرة

والآن بانتْ عن رُباكِ طيورُها

وأتى الخريفُ يبثُّ فيكِ كبائرهْ

والجحشُ يقتحمُ الرّبا متغابيًا

فرِحًا ويغرسُ في ثراكِ حوافرهْ

لم يلقَ من مستنكرٍ لومًا فراحَ

يسوقُ بالموتِ الزؤامِ ضوامرهْ

أوَما تُشَدُّ رحالُكم لشريفةٍ

تُسبى وأرواحُ الزهورِ مهاجرة

كنّا نَخِبُّ كمَن يُلبّي حِجَّةً

لو قيلَ تدعوكم هنالكَ عاهرة

ما بالُنا والعارُ في خُطواتِنا

نسعى إليه ونستمدُّ هواجرهْ

خمسٌ عجافٌ يا دمشقُ وسادسٌ

نلقى المنايا بالصدورِ الحاسرة

شاهتْ وجوهُ القاتلين لعلّها

تلقى جزاءَ اللهِ يومًا باسرة

واللهُ يجزي في النعيمِ عبادَه

يَلْقَوْنَه ولهم وجوهٌ ناضرةْ

دعوني أحلق

دعوني قليلا أُحلِّقْ أُحلّقْ

دعوني فطولُ الإقامةِ مؤرِقْ

وظلي على الأرض يبدو غريبًا

كئيبًا وشوقُ الأحِبَّةِ مُحرِقْ

أسير وحولي الشخوصُ دُمى

أخاطبُهم لكنِ الصمتُ مُطبِقْ

تسابقني خطوتي للرؤى

فلا أنا ألحقُ، لا هي تلحَقْ

سأبعثُ ذاكرتي مستعيدًا

صداها وأطلقُ نبعي المطوَّقْ

دعوني فحلمُ الحياةِ تلاشى

وحولي بحارُ الردى تتدفَّق

أتوقُ لنفسي وكم شاردٍ

عن النفسِ أدمن طولَ التملُّقْ

تعانقُني خطوتي عندما

أعودُ وأرتِقُ ما كنتُ أفتُقْ

وتحرُسُني دعوةٌ سهمُها

مصيبٌ وقوسُ المنيةِ مُطلِقْ

وتشعلُني دمعةُ البائسينَ

وبين يديَّ الطواغيتُ تُسحَقْ

وتفاحةُ النورِ أجذِبها

لأكشفَ سرَّ الحياةِ المُعَتَّقْ

سأمحو خطاكم فلا تذكروني

وأعلو فرائحةُ السفحِ تخنقْ

وأصنعُ لي جذوةً من طموحٍ

تخلِّصكمُ من ضميرٍ مُعوِّقْ

هنيئًا بسفحِ الحيارى فظلّوا

بُغاثًا وشُدُّوا حبالَ التفرُّقْ

ولا تسألوني عن الأمس مهما

تروهُ يحاولُ أن يتسلقْ

سأعلو فلا ترقبوا عودتي

ولا كيف أهبطُ أو أتملَّقْ

دعوا الروحَ تسمو بعيدًا بعيدًا

ولا تُشعلوا الحُلمَ فالأفقُ ضيِّقْ

ولا تُسمعوني ولا تُقنعوني

كرهتُ التشدُّقَ والمتشدِّقْ

سئمتُ احتباسَ سيولي وقلبي

بهِ الفجرُ في نشوةٍ يتألّقْ

دعوني أحلقْ فما زالَ حولي

رعودٌ تزلزلُ والفجرُ يَبْرُقْ

جناحي وإن ظلّ دهرًا كسيرًا

فما زالَ يخفِقُ ما زالَ يخفِقْ

أصيحُ بأفقي كأنَّ الصدى

صهيلٌ بأُذْنِ الوغى يترقرقْ

وخيلي تُثيرُ الغبارَ فأرشـ

ـفُ ذراتِ أرضي وغيريَ يُصعَقْ

وسيفي وقد ناصبوني عداءً

كفيلٌ بأن يتصدى لفيلقْ

دعوني فما لي من أصدقاء

فمَن ظلَّ فيهم يقولُ فيَصدُقْ؟

وإنّا بعصرٍ به الصدقُ أمسى

سرابا كأنّ الأخوة زئبقْ

وحيدًا أحلّقُ، شعري نديمي

وصاحبُ سِرّي وخِلّي المُعَتَّقْ

فليس لكم غيرُ أن تستريحوا

وهل فازَ مَن بالأماني تَعَلّقْ

فلا تَسمعوا صوتَها أو تبالوا

وإن شابَ من فِعلِكم كلُّ مَفْرِقْ

ثِقوا بحياةِ العبيدِ تعيشوا

فما أجملَ العيشَ في قاعِ خَندَقْ

ومُستنقعُ الخوفِ خيرٌ لكم

فبحرُ الحياةِ يهيجُ ويُغرِقْ

وإن صاحَ فيكم ضميرٌ فلا

تُعيروهُ سمعًا وقلبًا يُدَقِّقْ

دعوا الشعراءَ يلومونَ خلّوا

لهم شعرَهم والكلامَ المُنَمّقْ

دعوا الواعظينَ فما وعظُهم

سِوى نَفْثِ صَدرٍ يُخَوِّنُ يَحْنِقْ

أما تُبصرونَ الدنانيرَ تبدو

نجومًا فيالَجمالِ التّألُّقْ

فعيشوا ولو كان في العيشِ ذلٌّ

فمَن هوَّن الأمرَ لابدّ يُرزَقْ

ومن عاشَ في سفحِهِ مُطْمئنا

على هامشِ الذكرِ كان المُوَفَّقْ

فواروا كتابَ الفتوحاتِ شُدُّوا

عليه بثوبِ الخنوعِ المُمَزَّقْ

ولا تَرضعوا العزَّ من أمسِنا

فأمَّتُنا صدرُها قد تَشَقَّقْ

ومَن مَلَكَ السيفَ فيكم دعوهُ

يُجَمِّعُ حينًا وحينًا يُفَرِّقْ

أطيعوا بحبٍّ إذا قالَ، وادعوا

لمَن جِيدُكم بنداهُ مُطَوّقْ

وسيروا كما شاءَ طوعًا إذا

تُغَرِّبُ منحتُه أو تُشَرِّقْ

ولا تُظهِروا أنّكم جثةٌ

على السفحِ إنّ النسورَ تُحَلِّقْ

فلي وِجهتي ولكم وِجهةٌ

ولي الأفقُ يَجذبُ حبلي المُوَثَّقْ

سأخطو على ثقةٍ وإذا

شككتُ تقولُ المقاديرُ ثِقْ

ولكنَّ آخرَ ما أرتجيهِ

لكم أن تُخَلُّوا الزمان يُحَقِّقْ

وجذّوا حِبالَ الإخوّةِ إنّي

قطَعتُ علائقَ قلبي المُعَلقْ

أطلّقكم وبلا رَجعةٍ

إذا كانَ ثَمّةَ شعبٌ يُطَلَّقْ

فلا تستميحوا لكم حُجّةً

فمَن قد يُسامحُكم أو يُصَدِّقْ

أزيلوا عن الحائطِ السيفَ أخفوه

ما نفعه إنْ تثلَّمَ واندقّ

ولا تتركوهُ لأبنائِكم

فإيمانُهم ألفُ سيفٍ ممزّقْ

هم الأملُ الغضُّ يومًا سينمو

ويُثمر فرحًا ويجني التفوّقْ

وحولَهمُ الكونُ يُنشدُ زهوًا

بهم والأماني تضجُّ وتَخفِقْ

نصحتُ لكم والعلا شاهدٌ

يكادُ من الهمّ بالدمعِ يَشْرِقْ

وذروتكم نجمُها آفلٌ

بها والعيِيُّ يسوسُ يُهرطقْ

يجرُّ من الوهمِ جحفلَهُ

لمَنْ سوفَ يحلُمُ أو سوف ينطِقْ

أبشّرُه بالذي ظَنَّه

بعيدًا وشمسُ الحقيقةِ تبزُقْ

فما دام ليلٌ على أرضِنا

قريبًا سيتبعُه ألفُ مَشرِقْ

هناك تُغرِّدُ أطيارُنا

وتنشرُ في الأفق سرَّ التأنّقْ

وتعزفُ بالشّدْوِ لحنَ الهوى

فتَطْرَبُ منها خُزامى وزَنْبَقْ

على جانبي دربِنا واحةٌ

تعودُ إليها الحياةُ وتُورِقْ

وفي يدِ أطفالِنا لُعْبَةٌ

كزهرةِ فُلٍّ على كفِّ مُرْهَقْ

وقد جفَّ منها دمٌ طاهرٌ

لطفلٍ وظَلَّ شذاهُ المُعَبّقْ

أزالوا عن الوجهِ بعضَ الثّرى

فجالَ بصفحَتِها كلُّ رونَقْ

فما أجملَ الغدَ واليومُ عزٌّ

وما أبأسَ اليومَ والأمسُ مُقْلِقْ

وما أجملَ الغدَ ما دامَ جيلٌ

بوعيٍ يقودُ السفينةَ للحقّ

حسرة على العروبة

بكيتَ في الخلواتِ العُربَ مبتئسًا

حتى ملأتَ حياضَ النائمينَ أسى

أين الفراتُ وصيحاتُ الحروفِ به

كأنّها الطهرُ قد أمستْ به دنَسا

والنيلُ أين جَناه اليومَ يكلؤنا

غاضَ الجمالُ به أم أنّه يبِسا

كأنما مدَّ للأعداءِ أفرُعَه

ولم يبالِ إذا ما الذلَّ قد لبسا

أذاك أنّ قلوبَ العُربِ مائلةٌ

للغَربِ حتى اختفى الإلهامُ وانعكسا

ولم نجد غيرَ أن نغتالَ صيحتنا

وأن نقول لها: لعل ليت عسى

أيومَ صحوتِنا هل كدتَ تلمسني

فيقشعرّ لذاك الجلدُ مؤتنسا

هل كدتَ ترسو بشطّي كي تؤازرَني

أم هل سفيني بشطِّ المعتدين رسا

أقْبِلْ فإمّا رأيتَ العينَ يائسةً

فثق بأنّ شموخَ القلبِ ما انتكسا

اتّهموا الموتَ

اتّهموا الموتَ فقامَ يبرّئ نفسَهْ

أنتَ الجاني

رحتَ تفجّرُ صرحَ الكلماتِ

وتنفُثُ في عُقَدِ الحبِّ

وتزهقُ نفسَه

شوّهتَ ملامحَ صيحتِنا

فكأنّ الصيحةَ كانت همسةْ

تجترُّ الرعبَ وتمتهنُ الإرهابَ الأسودَ في عقلٍ متحجّرْ

وصبغتَ الدربَ بلونٍ أحمرْ

مالكَ يا موتْ

أظننتَ الفجرَ يعاندُ نفسَهْ

ابتسمَ الموتُ

وقال: إليّ تعودُ الطبلةُ والصوتْ

وحديثُ الإفكِ

وسدنةُ فرعونَ

فلا فوتْ

إليّ يعود القاضي والجاني وعليه دماء ضحيته

لا شيء هنالك ينجي

غير العودة للماضي

لكن لا عودةْ

اللون الأحمر

يجتازُ اللونُ الأحمرُ أفقَ الألوانْ

يطغى

يمسحُ كلَّ حقولي

خطواتي

وظلال الشّطآنْ

حتّى اللونُ الأسودُ لم يسلم من فعلِ يديهْ

وكأنّي أنظرُ للعالمِ من جفنيهْ

أو ألبَسُ نظّارتهُ الحمراءْ

وربيعي الأخضرُ في ثوبِ دماءْ

مطرٌ أحمرُ كالدمْ

وشوارعُ يُثقِلها الهمْ

وأزقّة حارتِنا تبكي

ورصيفٌ تتمدّدُ فيه مسافاتي

يحملني

لقبورٍ لا صوتَ يخاطبني منها

أينَ الأمواتْ؟

أتراهم رحلوا قبل قيام الساعة للجنّاتْ؟

رسالة من سجين لم يولد

في قصة مولود ولد بالسجن ولم ير في حياته غير الزنزانة

(قصة حكاها السوري ميشيل كيلو)

تحتَ جنوحِ الليلِ

وقلبي يتلظّى جُرحي

ودموعُ الأسرِ على شفتي

نارٌ تأكلُ كلماتي

وسمائي تُحصي أنّاتي

إنّ سمائي سقفٌ من إسمنتٍ

يتهرّأ كلَّ مساءٍ

كي يكسوَ بالجيرِ المطفيّ شَكاتي

أو عوراتي

وصديقي السجّانُ يلملمُ ذاتي

ويصارعُ بؤسَ حكاياتي

يأتيني كلّ مساءٍ

وعلى عينيْهِ صلاةٌ

وعلى كفّيهِ نجاتي

والحُلمُ هنالكَ مخنوقٌ

ويُدغدِغُ سرَّ مناجاتي

فألوذُ إذا طالَ العدُّ بصلواتي

ما بالُ السجّانِ رحيمٌ؟

وعلى عينيهِ بقايا إنسانٍ منسيِّ العبَراتِ

ما بالُ السجّان رحيمٌ؟

أَلِأنّي أُشبِهُ إخوتَه

وهوائي مسمومٌ

وفضائي محترِقٌ

وندائي مقطوعٌ

وأنا مُنتهَكُ الحُرماتِ

منسيٌّ

وأضيعُ بكلِّ مسافاتي؟

يا صاحِ

فؤادُكَ أعرِفُهُ

مكلومٌ لمصابي ويئِنُّ لوطأةِ حسَراتي

فيردُّ بصوتٍ يملؤهُ حزنٌ: لا تحزنْ

يا صاحبَ سرّي إنّي سجانُ المَأساةِ

وغدًا ستزورُ صديقًا

وضعته أمٌّ في قفَصٍ

لا يعرفُ في الدّنيا غيري رجلًا

يا صاحبَ سرّي لا تسألْ عن حجمِ المأساةِ

***

بِتُّ أفكّرُ في عرضِ السجانِ

تراودُني أسئلةٌ

ويضجُّ من الفكرةِ قلمي

والخوفُ يصارعُ أملي

هل يخدعُني؟

ولماذا يخدعُني؟

أيكافئُني؟

وعلامَ يكافئُني؟

إنّي أذنبتُ بحقّ فخامةِ سيّدِهِ

وكتبتُ قصيدة شكوى لم أذكرْ فيها أنّ الشعب يمجّدُهُ

وطلبتُ بأنْ يغدوَ لي صوتٌ

في مجلسِ شعبٍ لا يعرفُ غيرَ التصفيقْ

فالبلدُ تسيرُ ولا تدري في أيّ طريقْ

وطلبتُ كذلكَ أن يحكمَنا سيّدُهُ

عشرَ سنينْ

والآنَ فإنّي مذ عشرِ سنينَ

أحطّمُ أحلامي

وأبعثرُ في السّجنِ بقايا أيّامي

يا ويلَ خطابِكَ يا قلمي

أَزهقْتَ بشؤمِكَ عُمري وسلامي

وغدوتُ رهينَ الحسراتِ

لا أدري هل مازال خطابي

يحيا في صدرٍ حيٍّ

ويوفّر خبزًا لبناتي

***

دخلَ السجّانُ يزحزحني

هل مازلتُ على حالِكَ؟

مذ أمسِ تخطّطُ لزيارةِ صاحبِنا؟

هيّا قُمْ لا تجعلْ لحظاتِ حياتِكَ تتشابهُ

ما دمتَ تعيشُ على ذكرى حبٍّ

أو حلمٍ وطنيٍّ محترقٍ

أو وعدٍ مبهوتِ النظراتِ

هيّا فالوقتُ يداهمُنا

من قبلِ قُدومٍ مشؤومٍ لمديرِ السّجنِ يباغتُنا

هيّا يا صاحِ فإنّي أحببتُ صديقي الثّاني أكثرَ منكْ

وأخافُ –على رغمِ نعومتِهِ- منهُ عليكْ

فنهضتُ أصارِعُ أوهامي

تُثقلُني خطواتي

وكأنّي سوف أُساقُ لمِقصلتي

أبلعُ ريقي

وأشقَّ إلى الغيب طريقي

وأجرُّ الصوتَ إلى شفتي

والرعب هنالك يتسلّق أسواري

فأحثُّ خطايَ على رغمِ تقاعسِ رئتي

وتذكّرتُ بأنّ الفارسَ يَقْبَلُ أن يَستبدلَ ظهرَ الخيلِ

ولا يقبلُ أن يستبدلَ مبدأَهُ

فإذا بالرّوحِ تُحَلِّقُ

تحملُني للغيبِ

وقلبي يسحبُ خطواتي

وعلى غيرِ العادةِ دقّ السجّانُ البابَ لصاحبِه

فتدحرجَ صوتي في زنزانتِه

مبحوحًا يتنحنحُ

وأمدُّ على خجلٍ نظراتي

فإذا بامرأةٍ تتجمّعُ في ثوبٍ بالٍ

هزّتْ قلبي

شلّتْ أوقاتي

لا تُظْهِرُ للقادمِ مقتًا

أو صوتًا

إلا قعقعةً من صدرٍ يوحي

أنّ هنالكَ حيًّا

قال ادخلْ

ففزَعتُ من الأفكارِ

ألملمُ لحظاتي

وأهرولُ للواقعِ

أحثو في وجهي بعضًا ممّا تُمليهِ العينُ فأَشعُرُ أنّي يَقِظٌ

وأمدّ إلى الزنزانةِ رأسي وحياتي

وأصارعُ أنّاتي

وكأنّي لم أُسجنْ أو أشعرْ بإهانةِ ذاتي

من يغمِسُني الآنَ بسجني؟

من يرحمُني من أسوأ رِحلاتي؟

كنتُ أظنُّ بأنّي أبأسُ إنسانٍ

لكنّي أنجى إنسانٍ

مادام هنالكَ امرأةٌ تستجدي موتًا

وتنامُ على جرحٍ عربيٍّ مخمورٍ

ودعاةُ الحرّيةِ كالثوبِ على جسمِ عراةِ

قال ادخلْ

فنفضْتُ هنالكَ خطواتي

وقفزْتُ لأدخلَ قِمْعَ ظلامٍ

وكأنِّي سنبلةٌ فَرَطتْ لا أملِكُ للأمر ثباتي

كشفتْ عن وجهٍ ظمآنٍ

ومعالمِ خدٍّ مُبْتلٍّ

وعيونٍ تَسبِرُ أعماقي

وتهزُّ النبضَ بأوردتي

يتساقطُ أطنانَ فراقِ

قَذَفتْ طلَّتُها صُوَرًا تجتثُّ رسوخي

تغتال صفاتي

وكأني أعبثُ في مرآتي

وخطوتُ وبدري يكسوهُ محاقي

فصرختُ: صديقي

أنقذْني

أخرجْني

فُكَّ خناقي

أرجوكَ فإنّي

أركضُ عكسَ سباقي

وأحنُّ إلى سجني

أحضن قلمي

أتدثّر بصدى أوراقي

أَوْصِدْ بابي

هيّا شُدَّ وِثاقي

قال السجّانُ: صديقي

إنّك لم تعرفْ صاحبِيَ الثّاني

هيّا يا صابرُ سَلِّمْ

عمُّكَ سوفَ يقصُّ عليكَ حكايةَ فرعونَ السجّانِ

فنظرتُ إليهِ فأعياني

طفلٌ ذو خمسِ سنينَ

بلا أسنانِ

منتفِخٌ واللونُ الأصفرُ يرتعُ في خدّيهْ

مدّ إليَّ يديهْ

فجثوتُ

أواري دمعي

وأربّتُ بيديَّ على كتفيهْ

قال أجبني يا عمّي

ما اسمكَ؟

قلت سعيدْ

قال وما معنى اسمِكَ؟

هل في الدّنيا إنسانٌ غيرُكَ يدعى بسعيدْ

قلتُ: صديقي ما ذلكَ ببعيدْ

قال انظر ألعابي

فنظرتُ فإذ ببقايا ورَقٍ

يصنعُ منها تمثالاً ويسميه: عربيّا

وعلى الحائطِ يرسُمُ شطًّا

قلتُ: وأينَ الشطُّ الثاني؟

قال: وهل للبحرِ شطوطٌ أخرى؟

هل للأمرِ نهايةْ؟

قلتُ: بُنيَّ تلاعبني؟

قال:

ألاعبُكَ ولكنّي اسمي صابرُ، لست بُنيْ

يا عمّي: قصَّ عليّ حكايةَ

فرعونَ السجانْ

قلتُ: لقد ماتَ

صديقي سأقصُّ عليكَ حكاية عصفورٍ وحصانْ

اسمع يا صاحِ حكاياتي

(كان ياما كانْ)

قال: وما معنى عصفورٍ؟

قلتُ: سأحكي أخرى

قصةَ طائرةٍ

وسماءٍ ودخانْ

يا عمي ما معنى طائرةٍ؟

قُصَّ حكايةَ مصباحٍ أو قفصٍ أو سِجْنِ

أو طبقٍ أو عمٍّ أو أمٍّ أو سجّانْ

هذا ما أعرفه عمّي

هل بلدُك فيها عصفورٌ وحصانٌ وسماءٌ ودخانْ؟

ففزَعتُ وقمتُ أواري دمعي عن طفلٍ

لا يشعر أبدا بزمانْ

لا يعرف شكلًا لمكانْ

أمسكَ بإزاري

يجذبُني

يا عمّي لا تتركْني

فلقد أصبحَ لي عَمّانْ

لا تتركْني حتى تُسمعُني أغنيَةً

فانهارتْ عيني

والصبر تقوّضَ

وابتلت شفتاي فقالت:

(ماما

زمانها جيّهْ

جيّه

بعد شويهْ

جايبه لعب وحاجاتْ)

آهٍ يا أبأسَ رحلاتي

يا سجّاني

خذني

أرجوكَ فإني

أُقْتَلُ عمدًا

أو أيقظني من كابوسي

أو رُدّ إليَّ حياتي

أخرِجْني من قِمْعٍ

وضميرٍ مجروحٍ

وشريعةِ غابٍ

تقتاتُ منَ الطيرِ المسكينِ

إذا حطَّ قليلًا يبحثُ

عن بعضِ حياةِ

ما أكثرَ أن يحيا العالمُ مكشوفَ السوءاتِ

لم أقدرْ أن أُسعدَ طفلا

ما أبأسَني!

ما أبأسَ قلمي ودواتي!

ما أبأسَ كلَّ حكاياتي!

جرجرْتُ بحَلْقي مُرَّ شَكاتي

وجَرَرْتُ همومي رُغْمَ مماتي

يُرشدُني السجّانُ لسِجْني

لم أحسبْ أني في يومٍ

أخلُدُ لسريري مبهورَ الزفراتِ

مجتثَّ الآمالِ

ومسجونٌ في قفصٍ صدري

والسوطُ يلاحقُ آهاتي

***

لم يسمحْ لي السجّانُ بأن يتركَ لي أيَّ سؤالٍ

يَشغَلُني

وأبثُّ إليه مناجاتي

قال: اعتُقِلَتْ بنتَ اثني عشر ربيعا

وأبوها كان أديبًا

مثلكَ وبديعا

وخطيبا للنورِ مُشيعًا

سخِطَ الطاغوتُ عليه

فبثَّ جنودَ الكفرِ إليهْ

هربَ الأبُ لم يعرفْ عن درَّتِهِ شيئًا

وأبى أن يبقى للظلمِ مطيعا

حَمَلَتْ

والوحشُ مديرُ السّجنِ

ينفّذُ أمرَ الطاغوتِ يقدّمُ كلَّ القُرُباتِ

والطفلُ المنسيُّ أتى من رحمٍ منتهَكٍ

ليكونَ برحمٍ صخريٍّ مهترئٍ

لا تحزنْ يا صاحبَ سرّي

إنّي سجّانُ المأساةِ

***

ألقيتُ الجسدَ الهامدَ أدعو

أن يحفظَ ربّي

من هذا السِّجْنِ بناتي

حلفايا

في قصف مخبزها واختلاط الخبر بدم الطفولة

حلفايا تنزفً من مخبزها

أطفالا وشبابًا وشيوخًا

تختلط الأعمارْ

لا فرق هنالك بين الأبيضِ والأحمرِ

تمتزِج الألوانُ

تبعثرُ كلَّ الأسرارْ

وتشكّلُ أشلاءُ النورِ مسافاتِ الفجّارْ

حلفايا قد خرج أبي

لا يخشى بطشَ الإعصارْ

فالجوعُ على وجهِ الطفلِ وقودٌ

يُشعلُ فيه براكينَ الإصرارْ

فيحثُّ خطاهُ إلى المجهولِ

صباحًا يتنقل بين جدارٍ وجدارْ

والشظفُ المنقوشُ على جفنيهِ

غدا يتلمّسُ دربَ الأقدارْ

وعلى خديه أخاديدُ البؤسِ

فلا يملؤها إلا الدمعُ المنهارْ

يخطو المسكينُ على حذرٍ

كي يغنمَ كيسًا

فإذا بالغِلِّ يحرِّكُ حقدَ الأشرارْ

والمطرُ المسكوبُ يصارعُ

صاروخًا همجيًّا

في أفقٍ مطموسِ الأخبارْ

يقذفه إنسانٌ آليٌّ

منزوعُ الرحمةِ

مقطوعُ الإبصارْ

فيهبُّ من الفرنِ دخانُ الجرمِ

يفوحُ برائحةِ العارْ

والرعبُ هنالك مرتعدٌ من صوتِ التفجيرِ

ومن قذفِ الأخطارْ

وصراخٌ ملتبسٌ بعويلٍ

وكبارٌ يبكونَ بصوتِ صغارْ

ودماءُ الجوعى

تستبقُ شظاياهُ الحمقى

وتشقُّ بوطنِ العربِ الأنهارْ

حلفايا

يُغمَسُ خبزُكِ في مُهَجِ الأحرارْ

وطحينُكِ مبتلٌّ بدموعِ الثكلى

وعجينُكِ محترقٌ بلهيبِ السلطةِ

يا ويحَ النارْ

كوني يا نارُ بإذنِ اللهِ عليهمْ بردًا وسلامًا

وليحرقْ

ماءُ القصرِ البارِدِ أحلامَ الفجارْ

يموتون ثلجا

في الأطفال المهجرين إلى بلاد الثلج والعراء

على لسان طفل مات بردا

ثلجٌ على ثلجٍ وبَرْدٌ مُطْبِقُ
ويدُ الإخاءِ كذوبةٌ لا تَصْدُقُ

وأصابعُ الأطفالِ قد جَمُدتْ وما
من حِضنِ أمٍّ بالحنانِ يُطَوِّقُ

تركوا جِنانَ الشامِ يحترقونَ في
مُرِّ البعادِ إلى هواءٍ يَخنقُ

والجُرمُ قد نَصَبَ الفِخاخَ لحُلمِهم
متربّصًا وله عيونٌ تَرمقُ

لا سرَّ تُخفيهِ الطفولةُ فاقرؤوا

في لَمحِهِمْ آثارَ بؤسٍ يحرِقُ

لعناتُ تاريخٍ وغضبةُ ثائرٍ

تجتثُّنا ولِواءُ عزٍّ يخفِقُ

يا أمّةً باتت تُرى في لُجَّةِ الـ

ـخذلانِ بعدَ ذُرا المعالي تَغرقُ

كانت، فصارت في خِضَمِّ ضياعِها

واللهُ يمحو ما يشاءُ ويمحَقُ

إنّي على أطلالِ نفسي واقفٌ

بفؤادِ صبٍّ كادَ حُزنًا يُفلَقُ

ويحفُّني قلقانِ من ولعي بها

ذكرى مؤرِّقةٌ وخوفٌ مُقلقُ

الآنَ يُقصَفُ وردُنا ورياضُنا

وقلاعُنا ومساؤُنا والمشرقُ

وحروفُنا البكماءُ مثلُ طموحِنا الـ

ـمحبوسِ وهْو الحرُّ وهْو المطْلَقُ

والفجرُ أوشكَ أن يلوحَ فكذَّبتْ

عيني طلوعَ الفجرِ وهْو مُصَدَّقُ

سبّورتي الملساءُ أخفتْ ظلّها

عن شمعتي، طبشورُها لا يَبرقُ

نمشي على شكٍّ وحُلمٍ خائرٍ

والموتُ من حولِ الخُطا يتدفّقُ

فإذا عطشنا نرتوي من دمعِنا

والهمُّ في كلّ المآقي يبصقُ

لا رُوحَ تسري في عروقِ عروبتي

لا طيرَ في هذا الفضاءِ يحلّقُ

أمسِ اشتهيتُ الماءَ من ينبوعِهِ

فاهتاجَ لي نيلي البهيُّ الأزرقُ

لي إخوةٌ في كلّ قُطرٍ لا أرى

لي موطئًا إلا سقاهُ المشرقُ

كُنّا معًا فإذا ابتُليتُ بمحنةٍ

أضحى الخليجُ بنفطِه يترقرقُ

كُنّا، وصِرنا الآنَ أهلَ خطابةٍ

بهويً يُضِلُّ ومَنْطِقٍ يَتَشَدّقُ

فلأحملَنَّ النورَ من فجري إلى

أحضانِ حُلمٍ فهْو حقًّا أليقُ

وأغادرُ الشامَ الجريحةَ راحلًا

والثلجُ حولي من غرامي مُشْفِقُ

يحنو عليَّ إذا تعبتُ يضمُّني

في بطنِهِ أحيا هناكَ وأُعتَقُ

جرح

إلامَ الجرحُ في صدري يغورُ

وتشرِدُ عن مواطنها النسورُ

إلامَ الحبُّ يغدو نصفَ حلمٍ

وتغرقُ في جراحاتي البدورُ

ويُصلبُ في عراءِ الذلِّ قومي

وتأكلُ من رؤوسهمُ الطيورُ

ترجّلتِ النجومُ عن الأماسي

ليسطع في المدى خُبْثٌ وزورُ

ويعلو صوتُ أفّاقٍ زنيمٍ

ويكسرُ سيفَه الحرُّ الجَسورُ

حلمتُ بأن نعيشَ السِّلْمَ بابًا

على مصراعِه اتّقدَ الحُبورُ

ولكنْ ليلُ أمّتِنا طويلٌ

وبين الفجرِ والآمالِ سورُ

وتشربُ نخبَ سَكْرَتِنا سيوفٌ

كأنّ الكأسَ بالموتى تدورُ

غريبٌ أمرُنا ما ظلَّ فينا

هداةٌ في مراميهم نطيرُ

تناءَوا عن شبابٍ مُستفيضٍ

فضلوا، ما لنا منهم مُجيرُ

فهُبّوا يا رعاةَ النورِ هبّوا

يفئْ لهُداكمُ الجمُّ الغفيرُ

فجُلُّ شبابِنا وادٍ خصيبٌ

ولكن ليس في يدنا البذورُ

زمان مكفهر

عابسٌ هذا الزمانُ مُكْفَهِرْ

لم يَعُدْ للعُربِ من أمرٍ يسرْ

فِتنٌ تأتي فتطوي فِتنًا

نرتقي أمرًا مريرًا للأمرْ

يا تُرى هل ثَمَّ شيءٌ خاطئٌ

أبدل التيسير للأمرِ العَسِرِ؟

لا نرى في موطنٍ مثلَ الذي

عندنا من سفكِ أحلامٍ وشرْ

ذاك مأسورٌ ومقتولٌ وذا

خائنٌ أو خائرٌ أو مُنتحِرْ

واختلافٌ ماحقٌ يسحقُنا

ما لنا فيمَن مَضَوا من مُزْدَجَرْ

آهِ يا أمّتَنا كم ذا نرى

كلَّ يومٍ من ضياعٍ مُستمِرْ

يَنزِعُ الإحسانَ حتى إنّنا

في فراقٍ كالنباتِ المُنقعِرْ

مؤمنٌ أنّ الذي يجمعُنا

قدرةُ اللهِ بأمرٍ قد قُدِرْ

فلعلَّ اللهَ يأتي أمرُهُ

عاجلًا فهْو المليكُ المقتدِرْ

نجّنا اللهمَّ مِن أعمالِنا

نعمةً ممَّن يُجازي من شكرْ

مثلما نجّيتَ نوحًا بعدما

كان مغلوبًا حزينًا فانتصَرْ

سيل الجفاء

مشاركة في (ملحمة العرب) بجائزة البابطين

هَدَّنا سيلُ الجفاءْ وصراعُ الفُرقاءْ
هكذا الجهلُ ضياعٌ وسرابٌ وغباءْ
منذُ دهرٍ نقتفي الوهـ ـمَ نوالي السفهاءْ
وارتوينا من حياضِ الـ ـبُلهاءِ الأدعياءْ
وغفلنا عن تراثِ الـ ـراسخينَ العُلماءْ
آه يا أمّتَنا يا أُسَّ تشييدِ البِناءْ
سكرةٌ تسحقُنا أم تلكَ لعْناتُ الهباءْ
ونسينا عِزّنا المكـ ـنونَ في سِفرِ البقاءْ
أَلِأَنّا قد غفلنا عن مواثيقِ الإخاءْ
وخطبْنا الليلَ كي يمـ ـحوَ لألاءَ السّناءْ

وخبطنا في اختلافٍ وشِقاقٍ وهُراءْ

فانتقلنا من ظلامٍ لظلامٍ وبلاءْ

وتردَّدْنا كثيرًا بينَ طيّاتِ الخفاءْ

وهبطنا عن ذُرانا لكثيبِ الضعفاءْ

مثلُ من تاهَ ببَيْدَا ءَ بلا رَحْلٍ وماءْ

ربّما نخطو قليلًا نحوَ شلّالِ الضّياءْ

لكنِ الخطْواتُ يمحو ها عَثارٌ والْتِواءْ

فتردَّيْنا بوهمٍ مُمْعِنٌ فيهِ الشَّقاءْ

كلّما تِهنا بقاعِ الـ ظُّلْمِ قلنا اللهُ شاءْ

وإذا أدركَنا بَعـ ضُ اتّكالٍ واتّكاءْ

أشعلَ الجُهَّالُ شرًّا ما له ثَمَّ اتِّقاءْ

أطفئوهُ أخمدوهُ قبلَ إدراكِ الفناءْ

إن بكينا واقعًا أنَّى يُنَجِّينا البُكاءْ

فارقُبوا النّجمَ وكونوا في مجرّاتِ السّماءْ

وارشفوا الهَدْيَ مُشِعًّا من سراجِ الأتقياءْ
وانزَعوا الآلامَ مِن أقـ ـصى عروقِ البُؤساءْ
دينُنا دينُ الأماني دينُ كلِّ الأنبياءْ
شِرعةُ اللهِ سلامٌ لجميعِ الغُرباءْ
نهجنُا أبيضُ صافٍ ليس في الدينِ خفاءْ
وهْو للنّاسِ طيورُ الـ ـحُبِّ تجتاحُ الفضاءْ
كلُّ لونٍ مُشرقٌ وَشْـ ـيٌ لنا إلا الدّماءْ
غاصتِ الأحرفُ في لُجّـ ـةِ بحرِ الشُّعراءْ
وبظلّ الكلماتِ احْـ ـتشدَتْ سُحْبُ الرّجاءْ
يا دعاةَ السِّلمِ لا يُكـ ـتَبُ وعدٌ فوقَ ماءْ
قد ملَلْنا الصّوتَ مخنو قًا بصيحاتِ النّداءْ
ما لنا إذما ـنا بصمتٍ من عزاءْ
فاستجيبوا لضميرِ الـ ـوعيِ مرفوعَ اللواءْ
وثِقوا أنّا جميعًا لَبِناتٌ في بِناءْ

ولذي الحرمانِ بابٌ   ولذي الغُلّةِ ماءْ

لغةُ الحَرْبِ حروفٌ   صاغها أهلُ الفناءْ

هدفٌ يجمعُهم في   ظِلِّ أسبابِ الثّراءْ

يتجلّى خُبْثُهم الـ   نّاس إلا الأغبياءْ

فاستتارُ اللُّؤمِ مفضو   حٌ على رغمِ البُكاءْ

ليس أقوى عندَ أهلِ الـ   نّور من حاءٍ وباءْ

فاصنعوا للغدِ ذكرى   ليس للدّنيا بقاءْ

واسبِروا غَورَ الأماني   واسلُكوا بحرَ النّقاءْ

وعلى اللهِ هُداكم   وعلى اللهِ الجزاءْ

فهرس القصائد

انتهى الديوان بحمد الله

والله نسأل أن يغفر ما وقع من زلل أو خطأ

صدر للمؤلف

1 - ديوان (زلزلة الظلام) 2003 .

2 - ديوان (نور وسراب) 2010 .

3 - كتاب (501 لتصبح مؤلفا ناجحا) 2010 .

4 - ديوان (مدارج النور) 2010 .

5 - مجالس الروح، مجموعة مقالات 2010 .

6- توليد بحور الشعر العربي، دراسة عروضية 2011 .

7- ديوان مساجلات بين شاطئين وروح،2012 .

8- ديوان انسكابات، دار الصحابة، المنصورة، 2012 .

9- مشاركة بديوان (قصائد الثلاثين) عضوا للجنة التحكيم برابطة الشعراء العرب 2013 .

10- مشاركة في معجم الشعراء العرب ج3- 2015.

11- مشاركة بديوان "عيلان عبدالله الكردي" مؤسسة البابطين، الكويت، 2015 .

12- معيار الشعرية العربية وآفاقها 2016.

13- ديوان الصبح إذا تأخر 2016.

14- ديوان دقات قلبين 2016.

15- ديوان مس من الشعر 2016 .

16- حكايات نصاب ومغفل 2016 .

17- أثر اللهجة البيضاء في تمكين اللغة العربية، بحث بمؤتمر اللغة العربي، دبي 2015 .

18- ديوان حرائق دراسة أسلوبية، بحث بمؤتمر البلاغة بين النقد والأدب واللغة، الأردن 2016 .

19- جمالية القصة الشاعرة، بحث بمؤتمرها السابع، القاهرة، 2016.